ختان الإناث.. ممارسة جاهلية وتقليد اجتماعي ينتهك حياة 20 %من فتيات اليمن

فيما اعتبر "عنفا ضد الفتاة " بدت أعمال المؤتمر الإقليمي لمكافحة ظاهرة ختان الإناث اليوم أشبه بصرخة احتجاج على ممارسات " جاهلية" لعنف أسري بحق الفتاة اليمنية في واحدة من أخطر الظواهر الاجتماعية التي تؤكد المسوحات الميدانية تناميها على نحو واسع في مناطق الريف الساحلي اليمني وحتى مناطق الوسط والشمال وسط تأييد اجتماعي كبير .

استطلاع: أبوبكر عبدالله

ظاهرة "ختان الإناث" أو ما يعرف شعبيا بـ" الطهارة " تستحوذ اليوم على اهتمام العديد من المنظمات النسوية والحقوقية و الهيئات والدولية المهتمة بصحة المرأة والطفل وثمة محاولات تبذل للحد من انتشارها والتقليل من تأثيراتها التي تطاول أكثر من ٢٠ ٪ من إجمالي النساء في اليمن .

وطبقا للدراسة التي نفذها مشروع "تنمية الطفل" المنفذ من قبل الحكومة بالتنسيق مع منظمة "اليونيسيف" و "البنك الدولي" فإن الظاهرة تتفشى بصورة كبيرة حاليا في ١٠ محافظات تتصدرها الحديدة ، حضرموت ، المهرة ،عدن ، أبين ثم إب ، حجة ، لحج ، صعدة وتعز بنسب متفاوته على التوالي.

ومن بين ٣٠ مديرية جرى مسح الظاهرة فيها ميدانيا في ٥ آلاف و٨٠ أسرة تبين أن الكثير من الأسر تخضع أطفالها الإناث بعد الولادة إلى عملية ختان يتم فيها استئصال جزء لحمي من العضو التناسلي للفتاة بدعوى الطهارة والعفة !.

وتؤكد الباحثة الاجتماعية فاطمة العبسي أن ظاهرة ختان الإناث تنتشر في المناطق الساحلية بكثافة في عادة اجتماعية يعتقد أنها وصلت إلى اليمن من دول إفريقيا المشاطئة للساحل اليمني .. "في هذه المناطق تستقبل الأسرة اليمنية طفلتها بمقص أو موس حلاقة لختانها بعد أيام من ولادتها لتؤسس للفتاة أول مشكلة صحية ونفسية تظل تأثيراتها عالقة حتى آخر العمر " .

وتصف العبسي ما تتعرض له الأنثى بعد أيام من ولادتها بواحد من أكثر مظاهر العنف ضد المرأة قساوة.. "فالأسرة واعتقادا منها أن ذلك من تعاليم الدين الإسلامي تقوم باستئصال جزء من العضو التناسلي للفتاة ويتم تشويهه بسبب الطريقة البدائية التي يجري فيها ختان الطفلة الضحية .

وليلى التي تعمل حاليا اخصائية اجتماعية في إحدى المدارس الثانوية شاركت أخيرا في دراسة ميدانية حول الظاهرة وتقول " إن ما تتعرض له الأنثى بعد أيام من ولادتها يعد من أكثر مظاهر العنف ضد المرأة قساوة.. "فالأسرة واعتقادا منها أن ذلك من تعاليم الدين الإسلامي تقوم باستئصال جزء من العضو التناسلي للفتاة ويتم تشويهه بسبب الطريقة المتخلفة التي يجري فيها ختان الطفلة الضحية " .

وتشير العبسي في حديثها عن إحدى الحالات إلى الفتاة زينب. التي كانت محرجة عندما بدأت كتابة استمارة البحث وتقول " زينب تعاني من مشكلات نفسية وتنظر لنفسها بانتقاص وهذه تمثل نموذجا لحالة عامة فعلى الرغم من بلوغها الـ ١٩ عاما لا تزال تعتقد أن العملية التي أجراها حلاق قريتها في إحدى قرى المحافظة الساحلية تؤثر عليها نفسيا لكنها بالمقابل تحاول كغيرها إخفاء مشكلاتها " .

وتضيف " هناك صور متعددة لمعاناة الأنثى وأكثرها في الحياة الزوجية ومشكلة البرود الجنسي .. وهناك مشكلة أخرى هي الإحساس بالنقص والخزي الذي تشعر به الفتاة المختونة عند التقائها بأقرانها غير المختونات في المدرسة أو الجامعة وحتى في مرفق العمل " .

ممارسات بشعة

والممارسات البشعة التي غالبا ما تجري اثناء عمليات الختان للفتيات تبدو أكثر إيلاما ومصدرا اساسيا للمشاكل الصحية والنفسية لدى الفتاة .

ويوضح تقرير نشرته إحدى المنظمات النسائية مؤخرا أن من بين ٤ عمليات ختان هناك ٣ عمليات أجريت باستخدام أمواس الحلاقة كما وجد أن من بين ٥ عمليات حالة واحدة استخدم فيها المقص ، ومعظمها كانت تحدث في المنازل في غياب كل شروط الحماية الصحية.

وحسب الدراسة نفسها فإن ثلثي عمليات الختان التي تجري للنساء ،تتم عن طريق الدايات الشعبيات وأقل من الربع عن طريق الجدات (الأقارب) في حين لا تتعد نسبة العلميات التي يجريها اخصائيون (ممرضات أو قابلات) ٨بالمئة ، فيما يتولى الحلاق إجراء ٥٪ من العمليات فيما نسبة ٩٧٪ من عمليات الختان للفتيات تتم في المنازل .. في طقوس ختان تختلف من منطقة إلى أخرى .

ولا يزال الحديث عن الظاهرة وأسبابها في عداد المحرمات خاصة لدى الأوساط الاجتماعية التي تنتشر فيها الظاهرة فيما يشبه الحاجز الاجتماعي الذي يمنع أي خرق للظاهرة ويكبح أية محاولات لمعالجتها فيما التأييد للظاهرة لا يزال هو الأكثر سيادية .

وتقول الدكتورة نجيبة عبد الغني إن المناطق الساحلية ذات الطقس الحارهي ذاتالمستوى المرتفع لممارسة الظاهرة وتأييدها يبدو أكثر وضوحا في مناطق الساحل التهامي المطل على البحر الأحمر(حجة ، الحديدة ، تعز) هي الأولى من حيث الانتشار ، تليها مناطق الساحل الشرقي المطل على بحر العرب(حضرموت ، المهرة ،)ثم مناطق الساحل الجنوبي (عدن ،تعز) وتقل معدلات الانتشار كلما اقتربنا إلى الداخل في مناطق المرتفعات والمناطق الصحراوية.

وتشير الدكتورة نجيبة عبد الغني في دراسة تناولت موضوع التأييد الاجتماعي للظاهرة إن تحليل إجابات النساء والرجال المبحوثين بشأن موقفهم من الظاهرة يتبين أن نسبة عالية منهم (٩ نساء من كل ١٠ أجريت لهن عمليات و ٧ رجال أباء من كل ١٠) يؤيدون مسألة استمرار ختان بناتهم لأسباب مختلفة.

ووجد أن نسبة النساء المؤيدات لظاهرة ختان الفتيات في محافظتي المهرة وحضرموت مثلا تصل إلى ٩٨٪و ٩٠٪ على التوالي وتصل إلى ٨٠ ٪ في محافظة الحديدة ، و ٢٨٪ ، ٢٤٪ في محافظتي عدن وتعز على التوالي.

ويؤيد ٤٦٪من سكان هذه المناطق الظاهرة بمبرر الرغبة في تطهير الأنثى و١٠٪ يؤيدونها بدعوى المحافظة على التقاليد المتوارثة فيما يؤيد ٣٠ ٪ الظاهرة بسبب الاعتقاد بأن ذلك من الدين وحوالي

١٢٪ بدعوى المحافظة على بكارة الأنثى وضمان العلاقة الزوجية الحسنة .

وتؤكد الدكتورة عبدالغني أن نسبة عالية من المؤيدين لاستمرار ظاهرة ختان البنات هم من الأميين القاطنين في المناطق الريفية الساحلية ٦٦٪ فيما تقل نسبة التأييد في المناطق الجبلية إلى حدود ٤٢ ٪ .

معتقدات شعبية

يؤكد الباحثون الإجتماعيون أن التأييد الإجتماعي لظاهرة ختان الإناث إلى المعتقدات الخاطئة لدى الناس من أن ذلك من تعاليم الدين الإسلامي الحنيف فيما يعتقد بعضهمأن ذلك نوعا من التمسك بالتقاليد المتوارثة من أجل المحافظة على بكارة الأنثى وضمان العلاقة الزوجية الحسنة.

لكن الباحثون الاجتماعيون يفسرون ذلك بالإشارة إلى أن نمط الحياة المعيشية لدى معظم التجمعات السكانية في المناطق الساحلية فرض على الناس اتباع أساليب معينة في الحفاظ على مسائل الشرف .. ومعروف أن نمط السكن في المناطق الساحلية ذو طبيعة خاصة ،ويمكن القول أنه مجتمع متداخل بطبيعة المناخ الحار والتجمعات السكانية المختلطة أو التي تتيح الاختلاط إلى حد ما .

وفي ظل مجتمعات كهذه تسعى الأسر إلى اتخاذ ما يكمن تسميته بالإجراءات الاحترازية لحماية الفتاة فيما يعرف شعبيا بـ"الطهار" ولذلك يعتقد أن ختان الأنثى وسيلة مضمونة لعدم وقوع الفتاة في دائرة الخطيئة.. وهي على كل حال معادل موضوعي لغياب نمط الحياة السكانية الذي يمكن من خلاله الحفاظ على الأنثى من غير إتباع وسائل كهذه .

ويرى آخرون أن العملية تؤسس لمسائل المحافظة على بكارة الأنثى في ظل نمط السكن العشوائي المفتوح نسبيا، وتضمن علاقة زوجية سليمة في ظل الظروف الاقتصادية التي تفرض على الزوج الغياب عن منزل الزوجية لفترات طويلة فيما يؤيد آخرون الظاهرةً لكونها تنفيذاً لتعاليم الإسلام .

ولا يكترث الكثير من مؤيدو الظاهرة للتأثيرات الصحية الناتجة عن عمليات الختان التي تجري عادة بصورة بدائية على الرغم من إعترافهم بأنهاتسبب في أحيان كثيرة مشكلات كثيرة للأسرة .

ومن ذلك بحسب الدكتورة نجيبة عبد الغني الألم الشديد الناتج عن إجراء العمليات بدون تخدير والإصابة بنزيف الأوعية الدموية وتضييق أو انسداد لفتحة البول وكذا تسمم الدم وتعفنه أحيانا ما يؤدي إلى الموت ، علاوة على الإصابة بالحمى والصديد المستمر ما يؤدي في بعض الأحيان إلى الوفاة .

وتضيف الدكتورة نجيبة عبد الغني أن التأثيرات النفسية الناتجة عن هذه العمليات لا تقل خطورة عما سبق لاسيما وأنها تظل ترافق الأنثي طوال حياتها ومن ذلك الإحساس الذي ينتاب الإناث بسبب التشويه الحاصل في أعضائهن التناسلية والمشاكل طويلة المدى التي يسببها الختان للمرأة عند معاشرة زوجها .

يمنيون اغتربوا في أمريكا.. فشلوا في جمع الثروة وعادوا إلى الوطن مرحلين

١٢ عاما من الغربة عاد بعدها إلى أرض الوطن " فارغ اليدين" .. كلمات عبد الرحيم لأهله بعد عودته من الولايات المتحدة الأمريكية بأنه " لا يملك شيئا" كانت كفيلة أن تكون صدمة كبيرة.

لم يكن عبد الرحيم وحده العائد بدون شيء فقد سبقه بأيام فقط رفيق السكن والعمل وسنوات الغربة محمد، وقبله " آدم العديني، الذي اغترب ٨ سنوات.

مكان واحد حدده المغتربون العائدون من أمريكا لاستقبال ضيوفهم .. الجميع يترقب بشدة تحركاتهم وهمساتهم وحتى لبسهم ونوع (القات) الذي يمضغونه ولهجاتهم التي خلطت العربية بالإنجليزية.

كسر صمت المكان احد هم باعترافه بندمه على سنوات غربته في أمريكا، قائلا " خرجت منها كما دخلت (صفر اليدين)، وتعرضت للسجن والترحيل الإجباري إلى اليمن.

تحقيق : يحيى جابر

(سبأنت) التقت بالمغتربين العائدين من أمريكا وناقشت معهم معاناتهم ومعاناة زملائهم من اليمنيين المغتربين هناك وكيف عادوا من أمريكا مرحلين..

الطريق إلى أمريكا

يقول عبد الرحيم راشد "مغترب لمدة ١٢ عاما في أمريكا" انه أخذ مال من والدة واقترض فلوس من أصدقائه حتى جمع مبلغ ٥٠٠ ألف ريال هي تكاليف الرحلة وما تبقي منها ستكون مصاريفه حتى يجد عمل عندما يصل أمريكا.

عبد الرحيم يؤكد أن رغبة جامحة في جمع الثروة دفعته للهجرة، رغم أن ظروفه المادية كانت جيدة في اليمن .وقال " لقد تحطمت أحلامي كلها في أول يوم وصلت فيه إلى أمريكا فقد وصلت إلى منطقة بولاية نيويورك ليس فيها عرب ولم يستقبلني الأشخاص الذي يفترض عليهم ذلك .

وقال " في هذا المنطقة توقفت أكثر من ثلاث ساعات " تمنيت لو أن طائرة حاضرة في تلك اللحظات لتعود بي إلى صنعاء ، لأنني كنت سأتعرض لعملية نشل بالغصب .. " الحمدلله لم يقع شئ " .. مضيفا " بعد ساعات اتصلت بشخص لم يكن في الحسبان كان رقمه تلفونه على أجندة تلفوناتي ليحضر ويأخذني معه ويوفر لي بعد ثلاثة أيام عمل، عبارة عن عامل في احد السوبر ماركت بدوام ١٢ ساعة متواصلة أقوم بترتيب وإعادة تنظيم وتحميل الرفوف بالبضائع " .

وأضاف أن العمل في السوبر ماركت استمر سنة كاملة .. وقال : " كانت سنة متعبه تحملتها بسبب الالتزامات التي علي "الديون" التي يجب سدادها لوالدي وتوفير مصاريف الأولاد الأربعة والزوجه"..وفي السنة الثانية .. يقول عبدالرحيم رغم انتقاله إلى عمل أفضل وبعائد اكبر يصل إلى الفين وخمسمائة دولار ، الا ان قدوم اخوة الأكبر إلى اميريكا واصدقاء آخرين تطلب منه التوقف عن العمل والبحث عن عمل لهم ومشاركتهم السكن ودفع مبالغ مالية اثرت على رحلته للبحث عن الثروة.

طريق إجبارية

بعد الحصول على عمل مريح وبعائد كبير والشعور بالاستقرار يقوم المغتربون اليمنيون والعرب بحزم أمتعتهم مرة أخرى للبدء برحلة جديدة بحثا عن المصوغ القانوني والرسمي للإقامة في اميريكا ، ولكي تحصل على ذلك يجب أن تحصل على الجنسية الأميركية .

يقول المغتربون إن تكاليف الحصول على الجنسية الأميركية كبيرة وتستلزم تضحية بالمال والعمر ففي هذه الرحلة يتعرض هؤلاء للسجن وخسارة كل أموالهم التي يجمعونها والترحيل الإجباري في الأخير.

يقول آدام العديني وهو المغترب في أميريكا لمدة ثمان سنوات " نحن اليمنيون والعرب بشكل عام لكي نأخذ الجنسية الاميريكة نضطر إلى الزواج بامرأة أميريكة، لأن القانون الاميريكي لا يمنح الجنسية إلا لمن كان متزوج بأمريكية او يعمل في مؤسسة او شركة كبيرة سبق ان وافقت على توظيفه لديها لأن لديه شهادة جامعية بتخصص هم بحاجة اليه، والتي في المقابل تقوم الاخيرة بعد ثلاث سنوات بمنحة شهادة الضمان انه عنصر استفادة من الشركة وامريكا بشكل عام ، ليمنح بموجبها الجنسية " .

وتابع العديني " لكن معظم اليمنيين ليس لهم شهادات عليا للعمل في تلك الشركات فيلجئون إلى الزواج بامرأة أميريكية ، فالقانون الأمريكي يمنح الأجنبي المتزوج بأمريكية الجنسية " ..

وقال " ان المحاكم الامريكية وهي المعنية بإصدار بطاقة الجنسية "الجرين كرت " تفرض عليك أولا تعيين محامي أميركي ليتابع قضيتك عندها ، بالاضافة الى شروط اخرى بأن يكون لديك سكن ملك ، وعمل ثابت .

وبهذا فتحت الولايات المتحدة الامريكية ملفات قضائية للمغتربين ، فحسب العديني وعبدالرحيم واخرين .. يتطلب ذلك دفع مبالغ مابين ١٠-٢٠ الف دولار في الشهر كاجور للمحامي ورسوم قضائية لمتابعة معاملة الجنسية في المحاكم الامريكية يقول "آدام" لم يكن في الحسبان أن معاملة الجنسية الأمريكية ستأخذ منا سنوات عمرنا فقد تصل إلى العشرة سنوات ،فالذي يأخذ الجنسية بعد خمس سنوات يعتبر من المتوفقين " الذي أمه دعت له في ليلة القدر "..

وقال " إجراءات المعاملة معقدة، أنهم لا يريدون منا إرسال المال الذي نجمعه إلى اهلنا ويأخذونه منا مرة أخرى بهذه الطريقة " .

"عبدالرحيم" الذي حصل على الجرين كرت في العام ٢٠٠١م أي بعد خمس سنوات من المعاملة المضنية احتفل يوم حصل عليها وغمرته السعادة اكثر من يوم زفافه واكثر من يوم حصوله على مولود ، لانه كما قال "لاقئ الويل " ، ويعرف انه بحصوله عليها تنتهي كل مشاكله.

مغترب عائد الى ارض الوطن رفض ذكر اسمه وهو مرحل إلى اليمن جبريا لعدم تمكنه من الحصول على الجنسية قال " ان اليمنيين والعرب بشكل عام بعد أحداث ١١ سبتمبر كانوا يتعرضون لغارات ليلية في أمكان وجودهم وسكنهم من قبل الـ أف بي أي ، الذين يقومون بتفتيشهم ومسألتهم فيما إذا كانو ينتمون الى جماعات ارهابية وفي حال عدم وجود أوراق تثبت إقامتهم الشرعية يقومون باحتجازهم والتعامل معهم بغير إنسانية تماما..وأضاف ان السلطات الامنية الاميريكة قامت بأخذ العديد من اليمنيين وإيداعهم في سجون متفرقة داخل الولايات " .

عبدالرحيم يؤكد أن أصدقاءه الستة ادخلوا السجون ولم يتبق منهم سوى اثنين فيما الاخرين تم ترحيلهم من اميريكا إلى اليمن اجباريا، بعد ان فرضت عليهم غرامات أفقدتهم ما كانوا يمتلكونه من اصول كالسيارات والمتاجر والبيوت ، وفي بعض الأحيان استدعت إلى الاقتراض ، وهو ما يعني عودة إلى ارض الوطن فارغ اليدين " .

ويرى "آدم العديني" ان عودة المغتربين خالين اليدين سببها إجراءات السلطات الاميريكية التعسفية تجاه العرب ،إضافة إلى تعرضهم لهجمات من يسمون بالزنوج في مقار أعمالهم وهي (المتاجر، المحطات) وتهديهم بالسلاح واخذ كل من بحوزتهم ويقول أن سر نجاح بعض المغتربين في أمريكا يرجع إلى دخولهم في اعمال تجارة الخمر او بيع لحم الخنزير وهو الطريق الذي رفضته انا وبعض اليمنيين .

واعتبر إن نجاح بعضهم في اعمال عادية من قبيل الصدفة ، حيث ان السلطات الامريكية لا تدعم المغتربين ، بالاضافة الى عدم مساعدة السفارة اليمنية للممغتربين هناك .

ويؤكد عبدالرحيم منددا " لقد أرسلنا أكثر من شكوى بتوقيع معظم المغتربين اليمنيون إلى السفارة اليمنية مما نتعرض له من اضطهاد داخل امريكا لكن لم نتلق أي تجاوب و"هذا مايزيد الطين بله " ويجعل امور المغتربين تزداد سوء بخلاف الجاليات الاخرى .

ويعلن آدم العديني ندمه قائلا " لو إن عمرنا الذي قضيناه في أميركا كان باليمن لكان وضعنا أفضل ودخلنا المادي أكيد كان أوفر واستطعنا أن نبني وطننا ونربي أبنائنا ونعيش بسلام دون خوف من هجمات الـ" اف بي أي" وتهديدات الترحيل إلى اليمن ، نحن فعلا نادمون على غربتنا ونعتذر من الوطن الغالي" .

دور الحكومة في حماية المغتربين

الحكومة لم يكن لها دور فيما مضي لحماية المغربين لا من قريب ولا من بعيد، ويقول الدكتور صالح سميع وزير شؤون المغتربين في كلمة بحفل تدشين خدمات التأمينات على المغتربين اليمنيين في السعودية بداية الشهر الجاري : " ان الجمهورية اليمنية مقبلة على مرحلة جديدة تنظر فيها القيادة السياسية ممثلة بفخامة الرئيس علي عبد الله صالح رئيس الجمهورية والحكومة الجديدة برئاسة الدكتور علي محمد

مجور الى المغتربين اليمنيين في الخارج من خلال إستراتيجية جديدة محورها ان المغتربين اليمنيين في الخارج ثروة قومية لا تنضب .

واضاف وزير شؤون المغتربين انه انطلاقا من الرؤية الاستراتيجية الجديدة للقيادة السياسية والحكومة باعتبار المغتربين ثروة وطنية وقومية لا تنضب فان وزارة شؤون المغتربين شرعت في اعادة هيكلتها ومراجعة تشريعاتها على المستوين القانوني واللائحي وشكلت اللجان المتخصصة لاعادة هيكلة الوزارة وبنيتها التشريعية وتم التركيز على الاهتمام بتخطيط الهجرة وكذلك الدفاع عن قضايا المغتربين باعتبار ذلك من صلب مهام وزارة شؤون المغتربين.

وقال وزير شئون المغتربين الدكتور صالح سميع انه سيتم اختيار فريق عمل من القانونيين والمختصين لهذا الغرض وسيتبع هذا الفريق مكتب وزير شؤون المغتربين مباشرة كما كشف ان وزارته بصدد القيام بعملية حصر لقضايا المغتربين .. وأضاف "اننا قادرون على حصر قضايا المغتربين وقادرون على الدفاع عن المغتربين في الداخل والخارج " ..

وأشار الى ان وزارته بصدد افتتاح مكاتب تتولى متابعة قضايا المغتربين في كل من الرياض وجدة وقطر وابو ظبي وبريطانيا وامريكا كما انها ستتعاقد مع مكاتب محاماة في هذه الدول والدول التي فيها جاليات يمنية بهدف الدفاع عن قضايا المغتربين اليمنيين في أماكن اغترابهم .

ولفت الدكتور صالح سميع إلي أن وزارته قد أنشئت غرفة عمليات على مدار الساعة لتلقي شكاوي المغتربين اليمنيين في الخارج ومقترحاتهم وهناك دراسة لانشاء مركز معلومات خاص بالمغتربين كما ان هناك دراسة لحصر المغتربين والكفاءات وتصنيفها .وكانت اليمن قد دشنت مطلع الأسبوع الجاري في العاصمة السعودية الرياض نظام التأمينات للمغتربين اليمنيين في المملكة العربية السعودية بهدف حماية حقوقهم المستقبلية

عزيز السائق.. تذكر أن

عدم استخدام الهاتف أثناء القيادة يجعلك مسيطرا على مركبتك